



قراءة نفسية تحليلية للحدث السياسي

" في مصر ومن قبلها تونس "

www.arabpsynet.com/documents/MarselenaTnEq.pdf



د. مرسلينا شعبان حسن / سوريا
mar-selena@hotmail.com

من الصعب في بعض الأحيان الاحتفاظ بالحياذ الفكر والتحليلي ، عندما يكون الحدث الذي نكتب أو نتكلم عنه يمسننا في الصميم كمواطنين عرب تتحسس الآلام شعب شقيق تربطنا معه صلات وطيدة عدة من تراث حضاري وتاريخ طويل من الآمال والآلام تشكل البنية النفسية لكل منا ، ولكن لا بد من لجم العاطفة كي يتحرر المنطق العقلاني وينطلق الفكر يفتش عن مخارج نفسية تنقذه من أذى الخبر الاعلامي الذي بات طلبنا له اليوم مثل خبرنا ومأكلنا لانستطيع الابتعاد عن شاشات التلفزيون حتى ننفرد بأنفسنا ونفكر بما حصل على الأمراض لأي حدث نعيشه في هذه المنطقة سمعناه أو شاهدناه على الشاشة الصغيرة . .

أما بعد أيها الزملاء والزميلات الأعزاء :

استكمالاً للقراءة النفسية للحدث السياسي الذي عاشته المنطقة العربية قبل ومع بداية السنة الميلادية الجديدة والذي بدأها الأستاذ الدكتور وائل أبو هندي وشارك فيها عدد من الأساتذة والزملاء النفسانيين من المغرب وفلسطين . . ، وفي قراءتي اليوم سوف أنطلق من المثل المصري الذي أورده الأستاذ الدكتور يحيى الرخاوي في تعليقه على " ظاهرة تونس " الذي أطلقها الدكتور وائل أبو هندي والمثل يقول : " دي مش دبانة ، دي قلوب مليانة " الأضيف مقولة نفسية تحليلية تؤكد مخاطر الكبت والقهر وكبح الرغبات والحاجات التي نلمسها في عملنا العيادي عند المرضى الذين طفق الكيل بهم من ظروف قاسية متتالية أو تعرضوا لحدث صادم فجر ما لم يكونوا يتوقعوه ، قبل ذلك أبداً بالقاعدة النفسية التحليلية التي تؤكد على الخطورة من " عودة المكبوت " حيث

لاشيء يضيع من الذاكرة، عودة المكبوت حالة يخشاها الفرد المأزوم، ويستغرب عمقها وأبعادها فتجده قلقاً فرحاً حزناً ساكناً، مردات فعله اختلفت لديه قبل وبعد الحدث الذي فجر لديه قمقم محتوم فقد السيطرة على استخدام الكفوف عليه التي جربها من قبل وتجأبت معه، هذه الحالة الاضطرابية الحدية حيث أصبح الزمن مقطوعاً إلى شقين قبل وبعد، نرمن انتهى ونرمن ابتدى، منذ الحدث المفصلي الذي حرك طاقاته، والنرمن كما تعلمون متصل لا يمكن أن ينقطع، له اتجاه واحد دائماً للأمام، لا يمكن أن يقف أو يرجع للوراء، فالأحداث الفاصلة دائماً يعلق عليها آمال وتصيينا مرات أخرى بالويلات، وأذكر أننا كنا نسمع من جداتنا وأجداننا وآبائنا. أنه عند الحديث عن ذكرياتهم كان يتم ربطها بأحداث فاجعة أو أحداث طبيعية مثل سنة الثلجة الكثيفة، أو سنة الطاعون، سنة المحل (بالعامية السورية) المحل يعني الموسم السيء أو سنة هجموا الفرنسية، أو يوم ضرب الطيران الاسرائيلي القنيطرة أو يوم خطاب عبد الناصر وغيرها بمعنى آخر الأحداث المؤثرة هي ميقاتية لنا لتنظيم حياتنا وكياننا النفسي . .

أثناء الحرب العالمية الثانية كتب فرويد مقالاً لأنتستين كجواب لسؤال كان قد سأله له العالم الكبير "أنتستين" لفرويد، لماذا الحرب وسوف أمرسل لكم هذا المقال في مرة تالية عندما أتكم من طباعته، عسى قراءته من جديد تفيدنا في توليد بعض الأفكار، سؤال أنتستين لفرويد لماذا الناس تتقاتل فيما بينها وهل لرجال الفكر والعلم قدرة على منع تلك المحروب المؤذية للانسان وللبشرية بصورة عامة ؟؟ .

يجيب "فرويد" سنة 1933 على هذه الرسالة بشيء من السخرية والتشاؤم كمايلي:

- أولاً: كل مفكر واع ومدرك لا بد أن يكون مع السلم ضد الحرب رغم أن البشرية بحاجة بيولوجية الى قدر معين من الآلام كما نسميها في اللغة التحليلية: ألم الوجود منذ الولادة حتى الموت .

- ثانياً: العنف لا يتوقف ما دامت الشعوب متفاوتة في مستوياتها المعيشية وما دام تقدير القيم يختلف ما بين الجماعات والأفراد وما دامت الكراهية تشحن النفوس بالعداء وتحثها على القتال، سيما تتغذى من مصادر نفسية عميقة .

- ثالثاً: مقاومتنا للعنف والحرب وعودتنا الى السلم تبدو أضعف من الدوافع الى اشعال الحرب والعنف والرغبة في كسبها ولو كان ذلك على حساب دمار وقتل الناس بمن فيهم الأبرياء

كما أن "لفرويد" مقولة هامة في هذا السياق هي: **"الجغرافيا قدم الشعوب والمجسد قدم الفرد"** فلما كان الجسد هو الأمرض المهيئة لتثبيت فيها ، وتتطور كل الاستعدادات بدءاً من الحركية الى المحسسية الى الذهنية ليكمل النمو دورته ضمن خارطة الجسد ، فعندما يفشل الجسد في أداء وظيفة لعضو ما من أعضائه ينعكس ذلك على باقي أعضاء الجسد وبمقارنة تعبيرات الجسد مع ما يجري على الأمرض التي تستقر عليها جماعة بشرية في منطقة جغرافية معينة ، فإن كانت جبلية أضفت عليهم سمات نفسية خاصة وإن كانت صحراوية بالطبع تتأثر الطابع بهذا المناخ الجغرافي في العام والتاريخ الجغرافي يقدم لنا أمثولتين بامرتين محضرتي: 1- أثينا (الساحلية) المتفتحة على الفكر والأب والفلسفة، 2- حضارة اسبرطة (الجبلية الوعرة) حضارة السيوف والمعارك ، عرضت هذه الفكرة لأستيعرها في ايصال فكري حول العملية الانفعالية التي تتم من خلال التفاعل ما بين الداخل والخارج ، ما بين الفرد والبيئة بكل مؤثراتها المكانية والزمانية وما بينهما من تأريخ مؤثر بصفحاته العدة من فخر وكدر ، ومركون وتردي فلما كانت مصر منطقة جغرافية وسطى في قلب الوطن العربي ، لذا لا يخف على أحد أهمية تعبيرات نبضات القلب كمؤشر على السلامة أو الاضطراب ، هذا العضو الوسط يكون نقطة الامر تكاثر والضح لكامل جغرافية الجسد العربي وتعبيرات الوسط تتوزع على الأطراف ، كما أن حساب النسبة المتوسطة يشكل معيارية لتقدير اتنا ذات الدلالة عن أي ظاهرة أو سلوك ندرسه أو نقيمه ، لتكون الدلالة فوق أو تحت المتوسط ، لذا الوسط العربي والشرق المتوسط هو حالة جغرافية مركزية لأحداث كبرى تنشر أطياها على كامل المحيط الجغرافي في حوطها . . ومصر بسبب قربها من المتوسط وقربها من الخليج العربي وقربها من دول المشرق والمغرب العربيين ، أوسطيتها هذه جعلتها نقطة مركزية منذ الفترات البعيدة من تأريخ البشرية لشعوب استقرت بها وأسست مدناً على الأمرض وتشيد أعاجيب حضارية بديعة ما زالت العين البشرية عاجزة عن أن تغض النظر إليها إلا باعتبارها وكما هي هرم مراسخ من الرأس الى القاعدة ثبات وتوازن على الأمرض ، حضارة الفراعنة حضارة تحدي مع الطبيعة حضارة ضد الموت وفكرة الخلود مطلقها تحدي مع المارقين على تلك الأمرض ، من هذه المؤثرات لاشك نجد هذه الأيام صلابة التعبيرات التي تجمع

الشباب الغاضب لتعبّر أصدائها أرجاء المنطقة، وما هو أبعد من هذه التعبيرات المسموعة والسلوكيات المرافقة
لمحركة الشباب المصري المعتصم من (العصمة) أي برباطة الجأش أو الشباب المعترض على مدّ سلوكي، سمته
وفق قراءتي النفسية تعود لتلك الكواجح المتعددة التي عاشها من قبل، الكواجح على وجوده الشخصي في
المكان غير المناسب لقدراته واحتياجاته المختلفة من غير متحققة وأمر كثر منها على الحاجات المعنوية وفق
سلم ماسلو للحاجات المعروفة لمحضراتكم، هذه الكواجح كان مؤداها الكبت والقهر وحسب القاعدة
النفسية التي ذكرتها بدءاً من المقالي "لما لا شيء يضع من الذاكرة"، فإن الكواجح أو الكفوف المتلقاة على السلوك
وصلت عند هؤلاء إلى ذروة لم يعد معها فعل الكبت ممكناً، بل طغى المكبوت على ساحة الشعور بعدما بدأ
يأخذ طريقه في التعبير، عودة المكبوت إذن هي التي يُخشى منها دائماً إذ تتلاشى حدود الزمان والمكان،
وتنصب الرؤية على الدافع الذي فعل هذا التعبير الصارخ، ونتيجة ذلك تضطرب العضوية ولكن البريق الذي يظهر
في الذهنية يبرز إشعاعه ليضيء الطريق للفرد بعد هدم الطاقة ليصير منارةً تعكس له أفقاً أوسع من دائرة الجسد
المحبط المتعب نتيجة كف الحاجات والرغبات، وتجعله يتحد بأفق أرحب يخفف عنه مخاض الولادة التي ينتجها
الحدث من مخرجات الجسد (الأمراض) والتي لاقت صداها مع صور مرعبة متقبلة في أماكن أخرى والتقت
آمالهم مع آمال إنسانية مشروعة في كل مكان. . أما بعد أيها الزملاء والزميلات في أرضنا العربية وانطلاقاً
من الشعائر الذي أسس له في مؤتمر الخرطوم لتطوير خدمات الصحة النفسية في عالمنا العربي وذلك من خلال
"مربط علم النفس والعمل النفسي بالحياة" أردت اليوم كمحاولة لذلك مشاركتكم هذه العبارات
والأفكار وأرجو أن تلقى صدى مقبولاً أو تتفق مع رؤى زملاء وزميلات آخرين أو يطور لها لأن العلم بلا
شك هو عملية تراكمية لأفكار من قبلنا ومن نعاصرهم ولن سيأتون بعدنا ولعل الظروف المستقبلية تخدّمهم
للعلم النفسي أكثر مما نعيشه اليوم. . وبتقديراتي المتواضعة أجد أن معنى الأزمات عند الإنسان غالباً ما يفوق
واقع الأحداث المرافقة للمواقف الذي يوجد فيها، حيث أنه من الخطأ الافتراض أن آثار الحدث الصدمي سوف تترول
أو تذوب مع الزمن، بل مجرد أن الإنسان يتقدم به الزمن بعيداً عن هذه الأحداث المأزمية، فعودة المكبوت إليها
الأعزاء لا تعرف منطقية في الزمن ولا تعرف عدمية للحدث بل دائماً الرهان يكون على احتمالية السببية النفسية
لفهم السلوكيات الظاهرة عند الإنسان وفق المنهجية العلمية، للعمل النفسي التحليلي، حيث لا شيء يخلق من

عدم ولاشيء يفنى من وجود وفقاً لمبدأ مصونية المادة القانون الفيزيائي الشهير

اسمحوا لي أن أضع ختاماً لمقالي هذا بعض الأفكار التي أخذتها من كتاب سيكولوجية الجماهير للكاتب الفرنسي الشهير غوستاف لوبون والذي كتبه في عام 1895م وهذه الأفكار هي كما يلي:

1- لقد لعبت الجماهير في التاريخ دائماً دوراً مهماً ولكنها لم تلعب هذا الدور بنفس حجم الأهمية الذي تلعبه اليوم، فالعمل اللاواعي للجماهير يمثل بعد أن يحل محل الفعالية الواعية للأفراد أحد خصائص العصر الحديث . . (كتاب سيكولوجية الجماهير، ص 41) .

2- الجمهور النفسي هو عبارة عن كائن مؤقت مؤلف من عدة عناصر متنافرة متراصة الصفوف للحظة من الزمن، أنهم يشبهون بالضبط خلايا الجسد الحي التي تشكل عن طريق تجمعها وتوحيدها كائناً جديداً يتحلّى بخصائص جديدة مختلفة جداً عن الخصائص التي تمتلكها كل خلية (المرجع السابق، ص 56)

3- دور القادة يكمن في بث الايمان سواء كان هذا الايمان دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً، والانجيل يعزول الايمان قوة قادرة على نزع حربة الجبال إذا ما تروى الانسان بالايمان تضاعفت قوته عشرات المرات . . . (مقدمة لكتاب سيكولوجية الجماهير بقلم المترجم هاشم صالح، والكتاب عن دار الساقي، 1997م) .

4- الصفات العامة للطبع التي يتحكم بها اللاوعي والتي يمتلكها معظم الأفراد الطبيعيين لعرف ماعى بالضبط بنفس الدرجة تقريباً . . من خاصية الجمهور أنه يتبع كل شخص شبيهه والحشد الكبير يحرف الفرد معه مثلما يحرف السلل الحجارة المفردة التي تعترض طريقه (المرجع السابق) .

5- منذ قرن فقط كانت السياسة التقليدية للدول والمنافسات الجارية بين الحكام هي التي تشكل العوامل الأساسية لتحريك الأحداث، ولم يكن لرأي الجماهير في الغالب الأعم أي قيمة،

وأما اليوم فنلاحظ أن التقاليد السياسية والتوجهات الفردية للملوك والحكام والمنافسات الكائنة بينهم لا تؤثر على مسار الأحداث إلا قليلاً، فقد أصبح صوت الجماهير اليوم مراجحاً وغالباً، فهو الذي يملئ على الملوك والحكام تصرفاتهم ولم تعد مقادير الأمم تحسم في مجالس الحكام وإنما في مروح الجماهير..... المرجع السابق

أخيراً أيها الزملاء والزميلات أقول:

" طوبى للفرحين الذين يصنعون فرحهم بعد الكدم والألم .. "

د . مرسلينا شعبان حسن / سوريا

محللة نفسية

عضو المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية

mar-selena@hotmail.com

ملاحظة: " هذا المقال لفرويد من منشورات المركز العربي للأبحاث النفسية والتحليلية " .

*** **

الزملاء والزميلات
الأعضاء على شبكة العلوم النفسية العربية
إليك مقال عالم النفس التحليلي "سيغموند فرويد" حول الحرب ،
الذي جاء كجواب لرسالة أرسلها له عالم الفيزياء الشهير " أنشتاين
" رسالة فرويد لأنشتاين كجواب لسؤال:

" لماذا الحرب ؟ "

لماذا يتقاتل الناس أثناء الحرب العالمية الثانية 1933م

"سيغموند فرويد"

www.arabpsynet.com/documents/MarselenaFreud.pdf

*** **

الديمقراطية ...

سلام أمضى من السلام النووي الإسرائيلي

www.arabpsynet.com/documents/MarselenaDemocratie.pdf

د . مرسلينا شعبان حسن / سوريا

mar-selena@hotmail.com

**** *

Arabpsynet

www.arabpsynet.com

Subscribe To APN

<http://www.arabpsynet.com/Subs.asp>

Subscribe to APN Protected Links

SEND YOUR

Scientific CV

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

Subscribe to APN Editions

(APN Book, APN Journal, e.Psydict)

SEND YOUR

Scientific CV

<http://www.arabpsynet.com/cv/cv.htm>

Papers **Summaries**

<http://www.arabpsynet.com/paper/PapForm.htm>

Books **Summaries**

<http://www.arabpsynet.com/book/booForm.htm>

Thesis Summaries

<http://www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm>

Search To APN Database

Search Papers

<http://www.arabpsynet.com/paper/default.asp>

Books Search

<http://www.arabpsynet.com/book/default.asp>

www.arabpsynet.com/book/booForm.htm

Search Thesis

<http://www.arabpsynet.com/These/default.asp>

www.arabpsynet.com/these/ThesForm.htm

<http://www.arabpsynet.com/CV/default.asp>

Search Arab Psychologist

<http://www.arabpsynet.com/CV/defaultPsychologists.asp>

www.arabpsynet.com/cv/CV.HTM